بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وإذ قال ربُّكَ للملاَئكةِ إنى جاعل فى الأرض خليفة ، قالُـوَا : أتجْعَلُ فيها من يُفْسِدُ فيها ويسفك الـدِّمَاءَ ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لـك قال إنى أعلم مالا تعلمـون .وعلم آدم الأسماء كلهـا ، ثم عَـرضَهُمْ على الملائكـة فقـال أنبئـونى بأسماء هـؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحـانك لاَ علم لَنَّا إلا ما عَلَّمْتَنَا إنك أنت العليم الحكيم . قـال يـاآدم أنبئهم بأسمائهم ، فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السَّمَوَاتِ والأرض وأعلم ما تبدون وماكنتم تكتمون . و إذ قلنا للملاَئكةِ اسْجُدُوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين﴾ .

« صدق الله العظيم »

[البقرة : الآيات ٣٠ ـ ٣٤]

القرآن هو كلام الله المنزل على نبيِّه والمبلغ إلى الناس بلفظه وحرفه ، لأنه منهاج الله الذى رسمه للبشر ، وأمرهم أن يتبعوه . وكل آية من آيات الكتاب المبين تحمل جانباً من المنهج ، وترسم للبشر قطعة من الصراط المستقيم ، وتبين لهم شيئا من مرادات الله من خلقه ، وفى أثناء قراءاتى لكتاب الله وإنصاتى إليه يوماً بعد يوم دونت الكثير من الآيات التى لا يتبين لنا كل ماتتضمنه من التشريع والحكمة إلا إذا قرأناها مرة بعد أخرى ، وتدبرناها حيناً بعد حين ، وأنا هنا أختار من هذه التدوينات ماأحسست أنها وماسبقها وتلاها وتعلق به معناها من آيات الذكر الحكيم ، تجمع الأساس الذى لابد من معرفته من عقيدة الإسلام وشريعته وقانونه الأخلاقى ، وأنا أسوقها فى هذا الكلام على حذر منى وخوف ، لأن من بين قرائى دون شك من هو أعلم منى بكتاب الله وعلومه ، ولهذا فإننى أرجو هذه الجماعة الكريمة من العلماء ألا يبخلوا على بالتوجيه والتصويب ونصيحة المسلم للمسلم التى جعلها رسولنا الأكرم صدقة .

الوقت ساعة الغروب ، ونحن على ضفة النيل جنوب القاهرة ، أحسست أنى على حافة الأبد . تركت صحبى خلفى ومضيت فى قارب صغير ، لأننى أحسست أننى أريد أن أكون وحدى ساعة المعجزة الكبرى التى تتكرر يوماً بعد يوم ، وتشغلنا عنها زحمة الحياة ، فتمر بنا دون أن ننتبه إلى روعة الإعجاز فيها ، عندما يولج الله الليل فى النهار ، هنا يتسع النيل حتى يصير بحراً . وأدع المجداف ويقف بى القارب وسط النهر الكبير ، ولا أعود أسمع إلا حفيف الماء الجارى .

أحسست بالصمت الرهيب ، لأنه بدا لى أن مياه النيل آن لها أن تسكن لتسترد أنفاسها بعد جرى النهار .

الظلام الآن يهبط ، ولا أعود أرى إلا أطراف أعواد نبات أخرجت رؤوسها فوق الماء طلباً للنسيم . صفحة الماء الصافية كأنها مرآة ، والسكون من حولى شامل ، أضواء الضفة الأخرى تختفى ، وفى صفحة الماء أرى نجوم السماء تطلع واحدة ثم اثنتان ثم عشر . وأرفع رأسى فإذا قبة السماء تتلألأ بآلاف بعد آلاف من النجوم ، من بعيد أسمع صوت صرار الليل ، لقد نامت البرية وآن له أن يصحو ، فإن نهاره هو الليل ، وهذه دورة الحياة : مخلوقات تنام ومخلوقات تصحو ، والكون لا ينام أبداً ، لقد صحا الصرار لأنه اطمأن على نفسه ، فقد نام أعداؤه ، وهذا هو ينادى وليفته ، وهامى ذى تجيب ، هكذا تتم دورة الحياة كما أراد لها علام الغيوب أن تكون .

الليل الآن شامل والكون لا تضيئه إلا النجوم ، ملايين من العيون تنظر إلينا من بعيد ، هذه شموس ونجوم ومجرات لا يعلم بها إلا بارئها سبحانه ، عوالم تصغر إلى جانبها أرضنا هذه بكل مافيها ومن فيها . .

فى صمت الليل أسمع وجيب قلبى يقول : هذه أيها الغافل دنيا الله ، إنك الآن ترى جمالها فى أبهى صوره ، لأنك تحسها بقلبك ، ونبضات قلبك هذه تسبيحات للخالق ، تلك هى سماوات الله العلا ، أنشأها على هذا النمط الفريد ، ونجومها تترامى إلى آفاق يصعب عليك تصورها ، لأن عقلك الكليل عاجز عن أن يحيط بها ، الآن تدرك معنى قول خالقك جل وعلا فى سورة البقرة : (٢/ ٢٥٥) آية الكرسى : **﴿ الله لَا إِلَـه إِلَّا هُو الحَيُّ القَيومُ لَا تَاخُذُه سنَةٌ وَلَا نَومٌ لَّه مَافى السماوَات وَمَافى الأرض مَن ذَا ٱلَّذى يَشفَعُ عندهُ إِلَّا بِإِذنه يَعلَمُ مَابَينَ أيديهم وَمَا خَلفَهُم وَلَا يحيطونَ بشَىء مَن علمه إِلَّا بما شَآء وَسعَ كُرسيهُ السَماوات وَالأرضَ وَلَا يئودُهُ حفظُهما وَهو ٱلعَلىُّ العَظيمُ ﴾** .

أجل هـذا هـو عالم الله ، وأنت فيـه لا شيء ، عـوالم بعـد عوالم ، خلقهـا الله وصورهـا فى صور شتى لحكمة لايعلمهـا سواه ، أرأيت إلى رؤوس النبـات هذه التى ترف من حـولك ؟ إنها وحدها عـالم شاسع فياض بـالحياة والحركة ، وهى ثـابتة فى مكانها ، إنه عالم النبـات والشجر والزهر والثمر ، وهذا الصرار الـذى تسمع صوته من بعيد ، إنه عالم آخر ، عالم المخلـوقات الدقيقة الضعيفة التى أودع الله فيها من الحيوية والقدرة على مغالبة الفناء مايفوق قوة الفيل الهائل ، وسيأتى يوم لا تكون فيه الفيلة إلا فى حدائق الحيوان ، أما هـذه الحشرات الضعيفة فهى فى زيادة ولا يغلبها من مخلوقات الله غـالب ، والعلماء يقولون إنه سيجىء يوم لا يبقى فيـه مما يدب على سطح الأرض إلا هذه الحشرات ، وأنت أيها الإنسان الضئيل تشكو منها وتسعى فى إبادتها ، وهى أقوى منـك وستعيش بعدك لحكمة لا تدركها أنـت ، لقد خلقها الله كما برأ هذه المصابيح التى تزين السماء ، خلقها كما فطرك أنت ، كلكم عوالم أنشأها صاحبهـا ، ولكم فى خلقها حكمة وعظـات . واسـتمع إلى قول الحق سبحـانه فى سورة قَ :

﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُواْ إِلَى ٱلسَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ . وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ . وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ . تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ . وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا . فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ . وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ . رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ ﴾ . [الآيات : ٦ ـ ١١].

صدقت يابارىء الكون ، هذا هـو قرآنك وذلك هو كونك ، والاثنان صنوان تلك هى دنياك ودنيـانا وهذه هى حكمتك نـراها فى خلقك ، ونقرؤهـا فى كتابك ، والاثنتان فى قلبى تلتقيان .

وأنت ـ جللت . وعززت ـ القائل فى سورتك . . سورة الرحمن :

﴿ والأرضَ وَضَعها للأنام . فيها فاكهةٌ والنَّخلُ ذاتُ الأكمام . والحبُ ذُو العَصفِ وَالرَّيحانُ . فَبِأَىِّ آلاءِ ربكُمَا تُكذِبَانِ ﴾ .

[الآيات . ١٠ ـ ١٣] .

ما أروع كلامك وما أبدع صنعك ، فى كل معجزة من خلقك أحس معجزة القرآن . وفى كل كلمة من قرآنك أرى كونك هذا البديع .

وماأعجب قرآنك !

إنه كتاب واحد ، ولكنه لمن تدبر إعجازه ألوف بعد ألوف ـ إلى منقطع النفس ـ من الكتب ، وأنت تتحدث فيه حديثاً عجباً .

فأنت تارة متحدث فيه بذاتك الجليلة وكلماتك تتردد فى كيانى كله وأنت تخاطب نبيك موسى عليه السلام فى سورة طه :

﴿ إنى أنَا ربُّكَ فَاخلَعْ نَعلَيكَ إنَّك بِالوَادِ المُقدَسِ طُوى . وَأنَا اخترتُك فَاستَمِع لما يوحَى . إننىَ أنا اللهُ لاَ إله إلا أنَا فَاعبدنى وأقِمِ الصَّلاةَ لذِكرِى إن السَاعةَ آتيةٌ أكَادُ أُخفِيها لِتُجْزَى كل نفس بِمَا تَسْعَى ﴾ .

[الآيات : ١٢ ـ ١٥]

وأنت تارة تتحدث عن نفسك بضمير الغائب :

﴿ وَهُو القَاهِرُ فَوقَ عِبادِهِ وهُو الحَكِيمُ الخَبِيرُ ﴾ . [الأنعام ٦/ ١٨]

وأحياناً أخرى تتحدث عن أنعمك علينا بضمير الجماعة :

﴿ أَهُمْ يَقسمون رحمةَ ربكَ نَحنُ قَسمنَا بَينهُم مَّعِيشتهُم فى الحياةِ الدُنيا ورَفَعنا بَعضهم فَوق بعضٍ دَرجَاتٍ لِيتخِذَ بَعضُهُم بَعضاً سُخرِياً وَرَحمة ربِّك خيرٌ مِما يَجمعُون ﴾ . [الزخرف ٤٣/ ٣٢] .

وأحياناً تأمر نبيك أن يبلغنا حكمتك :

﴿ قُل يَاعبادِيَ الذين أسرفُوا عَلى أنفُسِهم لاَ تَقنطُوا مِن رَحمةِ الله إن الله يَغفر الذنُوب جمِيعاً . إنه هُو الغَفُورُ الرحِيم ﴾ . [الزمر ٣٩/ ٥٣] .

وهنا فى مجال أمر الرسول بأن يبلغ عن الله يجمع الله من آيات حكمته وتشريعه وهداه مالم يجعله فى مجال آخر ، لأن فى ذلك تكريماً للرسول وطبيعة رسالته ، والرسول ﷺ بشر رفعه الله إلى مرتبة النبوة ثم مرتبة الرسالة ، وفى ذلك ـ من طرف آخر ـ تكريم للبشر لأنه يعنى أن المخلوق البشرى قادر ـ إذا شاء الله ـ أن يرتفع بنفسه عن مستوى البشرية فيكون أهلاً لأن يتلقى كلمات الله ويبلغها لإخوانه فى البشرية ، وهذه مرتبة لم يرفع الله إليها شيئاً من مخلوقاته إلا الإنسان ، وهذه ميزة من ميزات الإسلام ، فإن حامل رسالته إلى الناس إنسان من البشر ، اختاره الله وهيأه ـ فى حدود إنسانيته دون غيرها ، ليصل إلى مستوى رسل الله ، فى حين أن غيره من الأنبياء حملة الرسالات كان لابد أن يعينهم الله بقوة خارجة عن قوة البشر ، لكى يستطيعوا أداء رسالتهم ، وفى العادة يمنح الله الرسول جانباً من قدرته ليأتى بمعجزة يثبت للناس بها أنه حقاً مختار من الله لحمل رسالته إلى الناس ، كما ترى فى حالات إبراهيم وموسى وعيسى ، ومن أبلغ أمثلة هذا فى القرآن الكريم مثال إبراهيم عليه السلام الذى سأل الله سبحانه أن يريه كيف يحيى الموتى ، فأراه الله كيف يحيى الموتى ، بل أراه كيف يعطيه جانباً من قدرته فيحيى هو الموتى بنفسه بأمر الله سبحانه :

﴿ وإذْ قالَ إبراهيمُ رَبِ أَرنى كَيفَ تحيِي الموتَى قَال أَو لم تُؤْمِن قَال بَلى ولكِن ليطمئِنَ قلبِي قَال فَخُذ أربعةً مِن الطَيرِ فصرهُنَّ إليك . ثُم اجعل عَلى كُل جَبلٍ مِنهُن جُـزءًا . ثُم ادعُهُـن يَاتِينك سَعيـاً وَاعلم أَن الله عـزِيـزٌ حَكِيمٌ ﴾ . [البقرة : ٢/ ٢٦٠] .

وكذلك عيسى بن مريم احتاج إلى مدد غير بشرى من الله سبحانه ليؤكد للناس أنه نبى مرسل من عند الله :

﴿ ورسُولاً إلى بنى إسرائيل أنى قد جِئتُكُم بِآيةٍ مِن ربكُم أنى أخلُقُ لَكُم مِن الطِينِ كَهيئةِ الطيرِ فأنفُخ فِيهِ فيكون طَيراً بإذن الله وأُبرِئُ الأكمه والأبرصَ وأُحيِي الموتَى بإذنِ الله . وأنبئُكُم بما تأكلُون وماتدخِرون فِى بُيُوتكُم إن فِى ذلِك لآية لكُم إن كُنتم مُؤمِنين ﴾ .

[آل عمران ٣/ ٤٩] .

قارن بذلك مقال رسول الله محمد صلوات الله عليه الذى هيأه الله لإقناع الناس ببشريته وحدها ، أنه رسول الله الصادق فيما يبلغ عن الله ، مع تحدى المشركين إياه و إسرافهم فى هذا التحدى :

﴿ وقالُوا لَن نُؤمن لَك حتى تفجُر لَنا مِن الأرضِ ينبُوعاً . أو تكُون لك جنةٌ من نخيلٍ وعنبٍ فتُفجر الأنهارَ خِلالها تفجيراً . أو تُسقِط السَماء كَما زَعمت علينا كسفا أو تاتِى باللهِ والملائِكةِ قبيلاً . أو يكُون لك بيتٌ من زُخرُف أو ترقى فى السماءِ ولن نؤمِن لرُقيك حتى تُنزِل علينَا كِتاباً نقرؤهُ. قل سُبحان ربى هل كُنتُ إلا بشراً رسُولاً ﴾ .

[الإسراء ١٧ : ٩٠/ ٩٣] .

ذلك لأن معجزة محمد الكبرى هى القرآن الكريم ، فإن القرآن يحمل فى ذاته برهان صدقه وآلاء قوته وبراهين صدوره عن الله سبحانه ، إذ لا يتأتى صدوره عن غير الله ، لا من ناحية إعجاز أسلوبه وعجائب بلاغته وبيانه وروعة إنشائه وبنيانه فحسب ، بل لأن آياته تحمل فى ذاتها براهين صدقه ، حتى إذا قرأها غير العربى الذى لا يقتدر على الاحساس ببلاغتها آمن بها إذا أراد الله له

الهدى ، واقرأ الآيات التالية لترى كيف أن آيات القرآن تحمل دلائل صدقها فى كلماتها :

﴿ ولَو أننا نَزلنا إليهم الملائكة وكلَّمَهمُ الموتى وحشرنا عليهِم كُل شيء قُبُلاً ماكانُوا ليُؤمنوا إلا أن يشاءَ الله . ولكِن أكثرهُم يَجهلون . وكذلك جَعلْنا لكل نبيٍ عدواً شياطِين الإنس والجِن يُوحى بعضُهم إلى بعضٍ زُخْرف القول غروراً . ولو شاءَ ربُك مافعلوُه فذرهُم ومايفترون ﴾ .

[الأنعام ٦ : ١١١/ ١١٢]

فهذا كلام لا يصدر إلا عن إله عارف بطبائع البشر ، وبما جرى للأنبياء على أيدى الناس ، وهو مطلع على الغيب ، فهو يعرف أن القرآن والإسلام منصوران بفضله سبحانه دون حاجة إلى معجزات ، بل إن أعداء الأنبياء ينصرونهم بعنادهم دون أن يدروا ، لأن الناس لا يلبثون أن يروا أن كل عنادهم زخرف من القول وغرور لا يتحصل من ورائهما شىء فإذا انتصر الإيمان فى النهاية بان للناس صدق كلام الله فزادوا إيماناً ، والآيات القليلة من نفس السورة تؤيد ذلك بأجلى بيان :

﴿ أفَغَير الله أبتغى حَكماً وهُو الذى أنزلَ إليكم الكِتاب مُفصلاً والَّذين آتيناهُم الكِتابَ يعلمُون أنه مُنزلٌ من ربكِ بالحق . فلا تكُونن مِن الممترين . وتمت كلمة ربك صِدقاً وعدلاً . لا مبدِل لكِلماتِه وهُو السَميعُ العلِيمُ ﴾ .

[الأنعام : ٦/ ١١٤ ـ ١١٥]

وقول الله سبحانه هنا ﴿ **وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً** ﴾ فى وقت لم تكن كلمات الله ـ أى نص القرآن ـ قد تمت ، يدل على أن المتكلم وهو الله سبحانه يعرف أنها ستتم ، لأنها تمت فعلاً قبل انتقال الرسول ﷺ إلى الملأ الأعلى ، ولفظ « صدقاً » هنا يعنى أنها عندما تتم ستكون كلمات الله سبحانه بكل حرف فيها ، أما « عدلاً » فمعناها هنا بغاية الدقة ، ولفظ العدل له معان شتى فى القرآن الكريم ، لأن العدل بمعانيه المختلفة أساس من أسس أخلاقيات الإسلام ، فليس العدل فى القرآن هو ضد الظلم فى كل حالة ، بل من معانيه الضبط والإحكام ، ومثال ذلك العدل فى قوله تعالى فى آية الدين ﴿ **وليَكتُب بينكُم كاتبٌ بالعدلِ ولا يَأب كاتبٌ ان يكتُب كما علمهُ الله** ﴾ فالمراد هنا فليكتب الكاتب مايملى عليه بالضبط لأن المطلوب من الكاتب هو أن يكتب مايملى عليه بالضبط ، لأن الكاتب ليس بقاض ولا هو طرف فى القضية ، وكل المطلوب منه أن يكتب بالضبط وكما علمه الله أن يكتب ، والمسئولية كلها هنا تقع على المملى على الكاتب ، ولهذا فإن الله يقول بعد ذلك عن المملى ﴿ **وليتقِ الله ربهُ ولا يَبخس مِنه شيئاً** ﴾ أى أن مسئولية مراعاة الله تقع كلها على الذى يملى لا على الذى يكتب ، لأن المطلوب ممن يكتب هو أن يكتب مايملى عليه بالدقة الكاملة دون زيادة أو نقصان فى حرف ، ودليل آخر على ذلك هو أن الله اشترط أن يكون هناك شهود ضماناً للدقة ، ثم إن الله يقول بعد ذلك ﴿ **ولا يُضار كَاتِبٌ ولا شهِيدٌ** ﴾ أى لا يؤذى الكاتب أو الشاهد على التزامه الدقة فى الكتابة ، وربما عدنا بعد ذلك إلى الكلام على معانى العدل فى القرآن ، لأنه كما ذكرنا ركن من أركان أخلاقيات الإسلام ، وهى مكارم الأخلاق .

ولنرجع إلى آيات سورة الأنعام التى ذكرناها :

﴿ **أفغير اللهِ أبتغِى حكماً وهو الذى أنزل إليكُم الكِتاب مُفصَلاً والذين آتيناهُم الكِتاب يعلَمُون أنهُ منزلٌ مِن ربِك بالحقِ فلا تكُوننَّ من**

الممترين .وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم﴾ .

[الأنعام ٦/ ١١٤ ـ ١١٥]

فنقول عن قوله سبحانه ﴿ لا مبدِّل لكلماته وهو السميعُ العليمُ ﴾ إن التبديل الذى أصاب كلام الله تعالى فيما يتعلق بكتبه السابقة على القرآن الكريم حقيقة لا شك فيها ، ولا ينكرها العارفون بتواريخ الأديان السماوية الأخرى الذين يسميهم القرآن « أهل الكتاب » وليس من الضرورى أن تكون هذه الكتب شبيهة بالقرآن الكريم فى هيئتها وصياغتها ، وإنما هى وحى من الله لنبيه ، وهذا الوحى فيه أصول الدين وعقيدته وشريعته ، وكان ينبغى أن يكتب النص ساعة وحيه كما حدث للقرآن . ولكن هذه الرسالات لم تدون ساعة وحيها ، وإنما تلقاها أصحابها وبلغوها لأتباعهم ، وهؤلاء وعوها فى عقولهم دون أن يكتبوها ، وأخذها عنهم خلفاؤهم ، وانقضت أزمان طويلة قبل أن تدون ، ومن هنا جاء التبديل أو التحريف ، وليس من الضرورى أن يكون ذلك قد وقع عن قصد وسوء نية ، بل إن مجرد تواتر الكلام على الألسنة وتناقله من جيل إلى جيل لابد أن يؤدى إلى التحريف والنسيان والنقصان والزيادة ، وهذا هو الذى حدث بالنسبة للتوراة والإنجيل ، فأما التوراة فإن اليهود أنفسهم يقولون إنها تجمع بين الكتب الخمسة الواردة فى أول « العهد القديم » أو مايسمى باسم البنتاتويخ Pentateuch ومأثورات التعاليم التى أوحيت إلى أنبياء بنى إسرائيل ، وهذه كلها ظلت تتناقل شفاها على ألسنة اليهود عصوراً متطاولة حتى جاء الوقت الذى تنبه اليهود إلى ضرورة تدوين ذلك كله بمعرفة كهان الملة اليهودية المعروفين بالربيين Rabbis فاجتمع هؤلاء فى مجامع شتى ، وكتبوا مدونات مختلفة فى النص والمعانى ، وأطلق عليها التوراة ، وعلى أساس هذه التدوينات بدأ مايسمى بعصر اليهودية الربانية فى تاريخ اليهود Rabbimic Judaism وبعض هذه التدوينات تم على

أيدى كهان أتوا من منفى اليهود فى بابل ، وبعضها تم على أيدى كهان ممن بقوا فى أرض فلسطين ، وهناك شىء من الإجماع بينهم على أن الكتب الخمسة أو البنتاتويخ أوحيت بألفاظها إلى موسى فى سيناء ، وإن كان بعض شيوخ العقيدة من يهود الإسكندرية فى العصر البطلمى يقولون : إن الفقرات التشريعية فحسب من هذه الكتب هى التى أوحيت إلى موسى .

أما الإنجيل فحديثه معروف لنا ، ولفظ إنجيل وهو فى اليونانية Euangelion وهو لفظ مؤلف من مقطعين eu ومعناه الطيب أو السار ، angello ومعناه الإعلان أو الإبلاغ . واللفظان معا يعنيان البشرى السارة . ومن لفظ angello أتى لفظ الإنجيل العربى ، ومعناه الدقيق هو البلاغ أو البيان ، ومن معانى البيان الوحى من الله ، وفى القرآن الكريم فى سورة آل عمران :

﴿ هذَا بَيَانٌ للناسِ وهدى ومَوعظة للمُتقِينَ ﴾ [٣ / ١٣٨] .

والإنجيل الذى أوحى إلى عيسى ابن مريم عليه السلام لم يدون فى حين وحيه ، وإنما هو دون بعد عشرات السنين من وفاة عيسى عليه السلام ، وأقدمها هو إنجيل مرقص الذى دون سنة ثلاثين ميلادية فى الغالب ، وهى أناجيل كثيرة دونها الحواريون وتابعوهم ، وقد اعترفت المجامع الدينية بأربعة منها ، وهى أناجيل متى ومرقص ولوقا ويوحنا ، أما البقية فقد رفضت على أنها زيوف أو أبو كريفا كما تسمى عند النصارى ، ومن بين المرفوضات إنجيل برنابا الذى يذهب الكثيرون من المسلمين إلى أنه أصح الأناجيل ، لأن الإشارة فيه إلى رسالة محمد صلوات الله عليه بالغة الوضوح والصراحة .

المهم أنها أناجيل وليست إنجيلاً واحداً ، ومادامت أناجيل فبينها خلاف فى النصوص والمعانى والوقائع ، وهى فى مجموعها تدوينات لما تذكره الحواريون أصحابها من وقائع حياة عيسى ابن مريم ، وأقواله ، وإما تعبيراً عما أوحى إليه

وإما كلاماً من عنده ، فهى فى جملتها تقابل الأحاديث والسير النبوية عندنا ، وهذه الأناجيل هى القسم الثانى من الكتاب المقدس عند النصارى بشتى مذاهبهم ، وهى المسماة بالانجليزية باسم Ejopils وهو العهد الجديد وتحقيق البشارة وكتاب الخلاص ، أما العهد القديم ــ وهو القسم الأول من الكتاب المقدس ــ فهى الكتب الخمسة التى ذكرناها ، وقلنا إن بعض اليهود يقولون : إنها التوراة وأسفار أخرى مما حكاه ـ أو حكى عن ـ أنبياء بنى إسرائيل ، وهذه تقابل عندنا كتب تاريخ الرسل ، كما نجد فى الجزء الأول من تواريخ الطبرى واليعقوبى وابن الأثير وأبى الفدا مثلاً .

والمهم الذى أحب أن ألفت له نظر القارىء أنه لا يوجد بين أيدى اليهود أو النصارى كتاب يقابل القرآن ، أى كلام الله الموحى إلى نبيه بلفظه وحرفه والمبلغ إلى الناس فى حينه بلفظه وحرفه ، وهم لهذا معذورون عندما لا يقرون بأن القرآن كلام الله ، لأنهم لا يعرفون شيئاً حقيقيًا بين أيديهم يسمى كلام الله المنزل بلفظه وحرفه .

فهذا عندهم غير موجود والمسميات تعرف بمقابلاتها ، فلا تغضب إذا سمعت هذا الكلام ، إذ أنه ليس من الضرورى أن يكون صادراً عن سوء نية بل عن جهل بكتاب الله سبحانه وكيف أنزل على رسول الله ﷺ وكيف وصل إلينا .

إلى هنا أقف بهذا المدخل ، وإن كنت لم أقل فيه كل ما أريد ، ولكننا نحب الآن أن ندخل فى أحاديث الآيات المختارة ، وفى ثنايا الأحاديث نرجو أن نستدرك مافاتنا قوله فى هذا المدخل ، وبالله سبحانه التوفيق .

***